حوليات آداب عين شمس المجلد 51 (عدد أكتوبر – ديسمبر 2023)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

الدولة وسياسة الحواروالتصالح مع الخوارج فى العصر الأموى 41 – 132 هـ / 661 – 749م

يوسف راشد رشدان المطيري*

وزارة التربية، الكويت
y_almutairi@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/07/31
تاريخ قبول البحث: 2022/08/24
تاريخ النشر: 2023/12/30

المستخلص:

تعتبر قضية الخوارج من القضايا الشائكة في التاريخ الإسلامي، فالخوارج بما قاموا به من ممارسات وتمردات، وبما حملوه من أفكار شكلوا حالة من حالات التهديد الوجودي للدولة الإسلامية، ناهيك عما حملوه من أفكار تخريبية خطيرة، والأخطر أدواتهم الاستقطابية التي استطاعوا من خلالها دغدغة مشاعر وأفكار العديد من العناصر التي قاموا بإستقطابها إما نتيجة أفكار ثورية أو أدوات إستقطابية أخرى تتمثل في الشعارات التعبوية أو توظيف وإستغلال مشاعر الناقمين على الحكم الأموي أو حتى من خلال المال السياسي.

هنا كان لابد للدولة كنظام سياسي منوط به حماية الدولة جغرافياً وأمنياً وفكرياً أن تقوم بدورها، وفي المجمل فإن معظم ما توجهت به الأقلام تبنت الحلول الأمنية والعسكرية التي قامت بها الدولة الأموية.. هنا تكمن قضية هذا البحث وتتمحور فكرته الأساسية لتجيب عن السؤال التالي: هل إتبعت الدولة الأموية وسائل وآليات أخرى بخلاف الحلول العسكرية والأمنية وسينصب البحث على بسياسات التصالح والحوار من خلال ومضات ولقطات سريعة وتبيان مدى جدواها؛ سيتضح لنا من خلال هذه الدراسة وكما هو ظاهر من عنوانها أن الدولة تبنت في بعض المراحل سياسات تصالح مع الخوارج من خلال الإقناع أو الإستقطاب أو المنح والعطايا أو مسح السجل الإجرامي والتغاضي عن مشكلات الماضي للدخول في كنف الدولة مرة أخرى

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب – جامعة عين شمس 2023.

تعتبر قضية الخوارج من القضايا الشائكة في التاريخ الإسلامي، فالخوارج بما قاموا به من ممارسات وتمردات، وبما حملوه من أفكار شكلوا حالة من حالات التهديد الوجودي للدولة الإسلامية، ناهيك عما حملوه من أفكار تخريبية خطيرة، والأخطر أدواتهم الاستقطابية التي استطاعوا من خلالها دغدغة مشاعر وأفكار العديد من العناصر التي قاموا بإستقطابها إما نتيجة أفكار ثورية أو أدوات إستقطابية أخرى تتمثل في الشعارات التعبوية أو توظيف وإستغلال مشاعر الناقمين على الحكم الأموي أو حتى من خلال المال السياسي.

هنا كان لابد للدولة كنظام سياسي منوط به حماية الدولة جغرافياً وأمنياً وفكرياً أن تقوم بدورها، وفي المجمل فإن معظم ما توجهت به الأقلام تبنت الحلول الأمنية والعسكرية التي قامت بها الدولة الأموية.. هنا تكمن قضية هذا البحث وتتمحور فكرته الأساسية لتجيب عن السؤال التالي: هل إتبعت الدولة الأموية وسائل وآليات أخرى بخلاف الحلول العسكرية والأمنية؟

بالطبع فإننا بهذه الدراسة لا نقصد التغافل عن تاريخ طويل من التعامل العسكري والأمني قامت به الدولة الأموية تجاه الخوارج، ولا عن تاريخ طويل من الثورات والتحركات الصاخبة التي أعلنت فيها جماعات الخوارج التمرد على الدولة الأموية، ولكننا هنا سنحاول إلتقاط الخيط الرفيع المتعلق بسياسات التصالح والحوار من خلال ومضات ولقطات سريعة وتبيان مدى جدواها؛ سيتضح لنا من خلال هذه الدراسة وكما هو ظاهر من عنوانها أن الدولة تبنت في بعض المراحل سياسات تصالح مع الخوارج من خلال الإقناع أو الإستقطاب أو المنح والعطايا أو مسح السجل الإجرامي والتغاضي عن مشكلات الماضي للدخول في كنف الدولة مرة أخرى.

أما السؤال الثاني من أسئلة البحث، هل كانت هذه السياسة مُجدية مع الخوارج؟ هل حققت الدولة ما هدفت له من خلالها، وهل أمنت الدولة جانب الخوارج... والإجابة على هذا السؤال فضل الباحث تأجيلها لآخر صفحات هذه الدراسة حتي تتجلي وقائعها بوضوح دون أي فرضيات مسبقة أو قناعات لا تفيد البحث العلمي الموضوعي.

مدخل تأسيسي:

ليس جديداً على الإطلاق أن يؤرخ باحث لقضية نشأة وقيام الخوارج، فالقضية استقرت تاريخياً في أذهان الباحثين أنها إرتبطت بمرحلة ما بعد صفين والتحكيم، يرتبط ظهور الخوارج بقضية الإمامة أو الخلافة [1] وتحديداً الخلاف الحادث بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان والذي دار حول قضايا البيعة والشرعية والثأر من قتلة عثمان، فانتهزوا فرصة وكشفوا عما كان يغلى في نفوسهم من ثورة على ما آلت إليه أوضاع الخلافة والحكم من ثورة على ما آلت إليه أوضاع الخلافة والحكم على عهد عثمان وفي خلافة عليّ القصيرة [2].

عود على بدء؛ فبعد النتيجة التي آل إليها التحكيم فإن الإمام علي بن أبي طالب قد عزم على محاربة أهل الشام لإعتقاده أن الحكمين حكما الهوى ولم يحكما القرآن [3] وأمر أصحابه بالتجهيز لمحاربة أهل الشام، وكذلك كتب إلى الخوارج الذين بالنهروان طالباً منهم العودة للصفوف، فأرسل إلى عبد الله ابن وهب وأصحابه قائلاً لهم "السلام عليكم، فإن الرجلين الذين ارتضيناهما للحكومة خالفا كتاب الله واتبعا هواهما بغير هدى من الله، فلما لم يعملا بالسنة ولم يحكما بالقرآن تبرأنا من حكمهما ونحن على أمرنا الأول، فأقبلوا رحمكم الله فإنا سائرون إلى عدونا وعدوكم لنعود لمحاربتهم

حتى يحكم الله بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين[4]وبذلك فقد اعتقد الخوارج أن ما قاموا به من حروب لم يكن فى سبيل إعلاء كلمة الله وإنما كان الغاية منها المصالح الدنيوية والسعى للنفوذ والسلطان وتحقيق المصالح الشخصية [5].

من الناحية التنظيمية فلم تتألف الخوارج من جماعة محدودة ثابتة، كما أنهم لم يجتمعوا على خلافة توحد كلمتهم وتجمع شملهم، بل أخذت جموعهم المتفرقة فى أنحاء الدول بزعامة رؤسائهم يقلقون الولاة ويناوئونهم، مما استغرق جهود قواد الدولة الكبار فى مكافحتهم [6]، لقد كان حزب الخوارج صاحب الاتجاه الأكثر تطرفاً طوال العصر الأموى [7] والأكثر تعصباً بين الأحزاب السياسية [8] والأكثر جموحاً في تطرفها [9]، رغم ذلك فقد عانى الخوارج من الانقسامات وقد استغل خصومهم هذا الانقسام فى ملاحقتهم والقضاء عليهم، فلم يدخر الخلفاء والولاة وسعاً فى مناهضتهم واتبعوا فى ذلك شتى الوسائل من عنف وخداع واستنفار للجماعة الإسلامية فى مواجهة ثوراتهم والتربص بأى حركة أو نشاط لهم، كما استخدموا أسلوب الدين والاقناع والمحاجاة، واتبعوا سياسة الترغيب واغراء زعائمهم بالمراكز المرموقة والمناصب الرسمية ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً [10]، وعلى الجانب الآخر وتماشياً مع الرؤية السياسية للدولة الأموية في سياقها البرجماتي، فالدارس لتطور الفكر السياسى عند الخوارج يلمس تحولاً خطيراً فى عقائدهم بما يساير الظروف الجديدة [11].

علي بن أبي طالب والتأسيس لمبدأ الحوار مع الخوارج:

لم تكن سياسات الدولة الأموية المتمثلة في الحوار مع الخوارج بدعة أموية بل كانت إستمراراً لبعض المحاولات التي قام بها علي بن أبي طالب للنقاش مع الخوارج، بالطبع لم تكن الأرضية السياسية وقتئذ بذات القوة والرسوخ كما كانت الظروف في ظل حكم الأمويين اللذين اكتسبوا قوة ورسوخ أكثر نتيجة مكتسباتهم السياسية، رغم ذلك فلا يمكننا إغفال مرحلة الحوار التي دشنها علي بن أبي طالب مع الخوارج – علهم – يعودون لكنف السياق العام للدولة مرة أخرى.

وكما نقلت روايات هامة أن علي بن أبي طالب وجه إليهم عبد الله بن العباس وهنا يمكننا أن نلاحظ بوضوح ما ذكره النص " ليناظرهم " وهو ما يعنينا في الأمر كلمة يناظرهم التي توضح وتعضد الاتجاه المعني في الدراسة [12]، ويبدو أن عبد الله بن العباس كان له باع كبير في الحوار والمناظرة مع الخوارج ويقر " المبرد " بذلك ففي معرض حديثه عن الخارجي " نافع بن الأزرق " يقول:" وله ولعبد الله بن العباس مسائل كثيرة " [13].

في تلك المرحلة كان الخوارج يتعاملون بفوقية وعنجهية وصلت حد التكفير،... تكفير من؟ خليفة المسلمين علي بن أبي طالب بما له من مكانة دينية كبيرة !!!

بل وتمادي خطاب الفوقية والعنجهية بمطالبة الخليفة علي بن أبي طالب نفسه بالاعتراف بالإقرار بالكفر والتوبة [14]عن هذا الكفر حتى يتسنى لهم العودة مرة أخرى !!! قائلين " "إنا كفرنا حين رضينا بالحكمين وقد تبنا إلى الله من ذلك، فإن تبت كما تبنا فنحن معك، وإلا فإذن بحرب..."، فقال لهم علي "أشهد على نفسي بالكفر لقد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين، أبعد إيماني بالله وهجرتي مع رسول الله أشهد على نفسي بالكفر" [15]، وبتعبيرات أخرى فقد طالب الخوارج بوضوح قائلين: فإن شهدت على نفسك بأنك كفرت فيما كان من تحكيمك الحكمين، واستأنفت التوبة والإيمان، نظرنا فيما سألتنا الرجوع إليك، وإن تكن الأخرى ننابذك على سواء "[16]

وعلى ذلك تبين أن الخوارج لم يكونوا على استعداد لقبول حل وسط[17]بغض النظر عن حالة الجدل السابق التى أدت للظاهرة الأكثر خطورة في تاريخ المسلمين وهي ظاهرة التكفير، فما يعنينا هنا أن الخوارج لما اعتزلوا علياً وعزم علي على مقاتلتهم، استأذنه عبد الله بن عباس في الذهاب إليهم لينظر ما ينقمونه عليه، فأذن له فذهب إليهم وناظرهم، ويروى أنه قد رجع منهم عدد كبير[18]، أو حسب روايات أخرى " وصارت الخوارج إلى قرية يقال لها حروراء بينها وبين الكوفة نصف فرسخ، وبها سموا الحرورية[19]، فوجه إليهم على بن أبى طالب عبد الله بن عباس فكلمهم فاحتجوا عليه بجهل، فخرج إليهم على بن أبى طالب فقال أتشهدون على بجهل؟ قالوا لا، قال فتنفذون أحكامى؟ قالوا نعم قال فارجعوا إلى كوفتكم حتى نتناظر " [20]، رغم ذلك فقد نجحت المناظرة فى أن تستعيد من جموع الخوارج ألفان [21]، وبقى منهم أربعة آلاف [22].

الدولة الأموية وسياسة المصالحة والحوار مع الخوارج:

إذا أردنا أن ندشن حديثنا عن سياسة المصالحة بين الدولة الأموية والخوارج فبطبيعة الحال سنؤسس على سياسات الخليفة الأموي الأول معاوية بن أبي سفيان، ومن المهم أن لا ننسى الطبيعة الشخصية لمعاوية بن أبي سفيان والذي اشتهر بالحلم، وبسياسات المنح والعطايا، وليس أبلغ من تعبير اليعقوبي عندما قال " وكان معاوية إذا بلغه عن رجل ما يكره قطع لسانه بالإعطاء" [23]، وبدأت ملامح جديدة في الظهور فنجد مثلاً أن الخوارج استخدموا مصطلح التوبة حتى مع أنفسهم للرجوع عن بعض الأفكار [24].

في ذات الإطار وفيما يتعلق بزياد بن أبيه فقد تنوعت سياساته فى مواجهة تمردات الخوارج حتى تجاه زعماء التمرد الواحد مثل سهم والخطيم، فهذا يقتله مباشرة، وهذا ينفيه ثم يستقدمه ويرسل لأهله ليضمنوه، ثم يصبر عليه حتى يخل بشروط الأمان فلا يصبر عليه ويسرع فى قتله، فكانت سياسته تتنوع بين الشدة حين تفيد الشدة، وبين اللين حين يحسن موضعه، فكان زياد يقتل المعلن من الخوارج، ويصلح المستتر، فلم يقتل الخطيم حين تنكر من قتل عباد وهو يعلم أنه قد يكون اشترك فى دمه، فكان زياد لا يجرد السيف حتى تثبت التهمة ويتحقق من المظنة [25]، كما أنه كان ينادي كبار رجال القبائل بالسيطرة على أفراد قومهم من المنضمين للفكر الخارجي فقد قال زياد بن أبيه في أحد المناسبات الخاصة بالصدام مع الخوارج: " ألا ينهي كل قوم سفهاءهم فكانت القبائل إذا أحست بخارجية فيهم وثاقاً وأتت بهم زياداً... " [26]، وهي سياسة هامة ومتميزة وجديرة بالتقدير في هذا السياق.

ومن المفيد أن نذكر أن تلك السياسة أثمرت فى عهد زياد بن أبيه، فكانت القبائل إذا أحست بخارجى فيهم أوثقوه وآتوا به زياداً، ومنهم من يحبسه، ومنهم من يقتله، كما أفلحت سياسته فى الترغيب والترضية، فكان يستميل من يقبل عليه من زعماء الخوارج، واتخذهم صنائع وعمالاً ويغدق عليهم الهبات والعطايا، ولكنه لم يتورع عن البطش والتنكيل بمن يعرض عنه ويناوىء حكمه، حتى النساء لم يسلمن آذاه فكان يقتلهن ويمثل بهن [27].

أما فيما يتعلق بسياسة عبيد الله بن زياد ففى بداية عهده على العراق اتبع نفس سياسة أبيه تجاه الخوارج بل زاد عليها، حيث أطلق كل خارجى كان محبوساً حتى طمع الخوارج فيه بعد إطلاق سراحهم، فخرجوا عليه، فما كان منه إلا

أنه كان أسرع تغييراً فى سياسته ضدهم، فكان لا يمهلهم بعد ذلك، يحبسهم تارة، ويقتلهم تارة، فكان يقتل أكثرهم شر قتلة، ولا يتفاضل عن أحد منهم، حتى كاد يقضى عليهم، غير أن موت يزيد بن معاوية فجأة حال بينه وبين ذلك، ففر إلى الشام من العراق [28].

وبخصوص عبيد الله بن زياد أيضاً فقد أشار يوليوس فلهاوزن لنفس المعنى بقوله " أنه لما تولى أمر البصرة في سنة ٥٥ هـ / 674م بدأ بمهادنتهم وأطلق سراحهم من السجن فلما لم يفلح هذا معهم، وظل عبيد الله يتعقب الخوارج بشدة عظيمة، فحبس من بدا له أنه خطر ولمجرد الاشتباه في أمره وهذا شيء لم يفعله أبوه " [29].

لقد كان ابن زياد يفهم طبيعة وطريقة تفكير الخوارج السطحية الساذجة فكان يأتى بهم مجموعات من الحبس يناظرهم فيما هم عليه من إعتقاد، ويلقى إليهم الشبهات التى تفرق بينهم، فيتعادون مع بعضهم، ثم يكفر بعضهم بعض، وهنا يعرض عليهم ابن زياد أن يقتل بعضهم بعضاً ويخلى سبيل القاتلين ففعلوا ما خطط له ابن زياد، فأطلق القتلة الذين قتلوا أصحابهم، وكان من بين القتلة رجل يسمى طواف بن غلاق، اجتمع عليه قتلة الخوارج ثم عزلهم أصحابهم من بقية الخوارج وقالوا قتلتم اخوانكم، فرد عليهم طواف وأصحابه بأنهم قد أكرهوا على ذلك، وقد يكره الرجل على الكفر وهو مطمئن بالإيمان [30].

ومن الملامح التي يمكن رصدها في سياق السياسات السلمية بين الدولة الأموية والخوارج أن أحد الخوارج ويدعى مرداس بن حدير [31] فكان مرداس مجتهداً فى العبادة وكانت إدارة السجن تسمح له بالذهاب لبيته ليلاً على أن يعود فجراً [32]، وهي مرونة لا يمكن الإستغناء عنها في إطار تدليلنا على نمط هذه السياسات المتصالحة، والغريب أن مرداس الذي كان قد حبسه عبيد الله بن زياد وقد عزم على قتل الخوارج عندما أطلق سراحهم ثم لم يحمدوا له هذا الصنيع، فخرجوا عليه، ومن ثم عزم على تتبعهم وحبسهم وقتلهم حتى بالشبهة [33].

كما ذكرت المصادر أيضاً موقف الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان من هذه القضية، وأنه خصص جزء من وقته للتباحث مع الخوارج، وهدف من خلال هذه المناقشات إرجاعهم عن أفكارهم...، وتدلل لنا إحدى روايات " المبرد " أن بعض هؤلاء الخوارج كانوا أصحاب مقدرة لغوية فائقة ويبدو أن النقاشات وصلت لمنطقة محظورة مع أحد الخوارج أصحاب القدرة اللغوية الفائقة فأمر عبد الملك بحبسه وهذا من وجهة نظر عبد الملك بن مروان حكم مخفف جداً لأنه صفح عن قتله قائلاً: لولا أن تُفسد بألفاظك أكثر رعيتي ما حبستك... " [34].

مرحلة عمر بن عبد العزيز والدور المحوري لسياسة الحوار والمصالحة مع الخوارج:

يتلخص المبدأ الأساسي لعمر بن عبد العزيز في التعامل مع حركات المعارضة في الكلمات التالية: " **إذا قدرت على دواء تشفي به صاحبك دون الكي فلا تكوينه أبداً** " [35]، لقد حاول عمر بن عبد العزيز أن يحل مشاكل الدولة الإسلامية مع أحزاب المعارضة بالطرق السلمية [36]، ويصف أحد الباحثين آلية التعامل مع الخوارج: " يثور الخوارج فلا يسرع هو بإشهار السيف ولكنه يلجأ إلى سلاح المنطق والبرهان ،... وأن اضطرار عمرإلى إستخدام العنف إزاء فئة من الخوارج لم يدفعه أبداً إلى تعميم أسلوب العنف تجاه كل الخوارج، إنه يعلم أن خصمه مادام مستعداً للحوار، فلا داعي أبداً

لاراقة الدماء، بل إنه كان يتعهد بعضهم بالأرزاق والكسوة....، فضلاً عن مناظراته المستمرة معهم... " [37]كما دعا عماله وأكد عليهم ألا يبدأوا الخوارج قتال إلا أن يسفكوا دماً أو يفسدوا في الأرض[38].

وحسبما ذكر الطبري أن رجلين من الخوارج دخلا على عمر يدارسانه ويناظرانه فقالا له: " أخبرنا عن يزيد بن عبد الملك بن مروان لم تقره خليفة بعدك؟ قال: صيره غيري، قالا: أفرأيت لو وليت مالاً لغيرك ثم وكلته إلى غير مأمون عليه، أتراك كنت أديت الأمانة إلى من ائتمنك؟ قال: أنظراني ثلاثاً، فخرجا من عنده، وخاف بنو مروان أن يخرج ما عندهم وفي أيديهم من الأموال، وأن يخلع يزيد، فدسوا إليه من سقاه سماً فلم يلبث بعد خروجهم من عنده إلا ثلاثاً حتى مات، ولا أدل على سعة صدره، وعظيم حلمه من موقفه من الخوارج الثائرين عليه والمتمردين على دولته، فقد ناقشهم واستمع إلى شبههم وكتب إلى بسطام اليشكري المعروف بشوذب أحد زعمائهم يقول له: " إنه بلغني أنك خرجت غضباً لله ولنبيه ولست بأولى بذلك مني، فهلم أناظرك فإن كان الحق بأيدينا دخلت فيما دخل فيه الناس، وإن كان في يدك نظرنا في أمرك"[39]

إذن فلم يشأ عمر بن عبد العزيز أن يأخذ الخوارج بالشدة والقسوة، بل أراد أن يعاملهم باللين ويناظرهم بالحجة من أجل إزالة الخلاف بين الفريقين عن طريق الإقناع والبرهان، فقد كتب عمر إلى أحد الخوارج ويدعى بسطام يسأله عن سبب خروجه ويطلب منه مناظرته لإظهار الحق، فأرسل بسطام إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز رجلان يناظرانه[40]. ولكن لم تؤد المفاوضات إلى اتفاق، فعلى الرغم من اختلاف الروايات [41]حول الموضوعات التى ناقشها الخوارج مع عمر بن عبد العزيز إلا أن مسألة الخلافة كانت هى محور النقاش باعتبارها هى المسألة الرئيسية لديهم والسبب الرئيسى وراء جميع تحركاتهم وثوراتهم [42].

أما في عصر يزيد بن عبد الملك فقد خرج أحد الخوارج الحرورية فى ثلاثين رجلاً فأراد يزيد أن يرسل اليه جنداً يقاتلونه فقيل له إن قُتل غضفان بهذه البلاد اتخذها الخوارج دارهجرة، والرأى أن تبعث لكل رجل من أصحابه رجلاً من قومه يكلمه فيرده، ففعل يزيد ذلك فقال لهم أهلوهم إنا نخاف أن نؤخذ بكم وأمنوا فبقى عقفان وحده، فبعث اليه يزيد أخاه فاستعطفه ورده، فلما ولى هشام بن عبد الملك الخلافة ولاه أمر العصاة بعد أن أراد أن يوليه إمرة مصر، ولما ولى يزيد إمر العصاة وعظم ابنه قدم ابنه من خراسان عاصياً فشده وثاقاً وبعث به إلى الخليفة هشام، فأطلقه هشام لأبيه وقال لو خاننا عقفان لكتم أمر ابنه عننا فاستعمله على الصدقة، فبقى عقفان على الصدقة إلى أن مات هشام بن عبد الملك [43].

وفيما يخص الخليفة هشام بن عبد الملك فقد مال بشكل كبير لتطبيق إستراتيجية التصالح مع الخوارج، ولدينا روايات متعددة في ذات المنحى مثل ما ذكره اليعقوبي أن هشام بن عبد الملك قد ألح فى طلب الخوارج فجلس يوماً وجمع إليه الخوارج، فقال يا قوم خافوا الله ولا تدعوا الجهاد فبايعوه [44]، وفي واقع الأمر فإن هذا الخبر المقتضب قد يعكس أدوار خفية قام بها صاحب السلطة وهو الخليفة لأجل إستقطاب هذه الجماعات وإقناعهم.

الإباضية كحالة إستثنائية:

غرد الإباضية بعيداً عن السرب الخارجي حيث اتجهوا إلى المسالمة والابتعاد عن الفتن والثورات والدعوة لمذهبهم فى سرية وهدوء، وسميت هذه المرحلة بمرحلة الكتمان، وهى المرحلة الأولى من مراحل مسالك الدين عند الإباضية [45]،

وفي الواقع فلا يمكننا أن نتجاوز الحديث عن الإباضية دون التوقف على ماهية تصنيف الإباضية كفرقة من فرق الخواج ومدى موضوعية هذا التصنيف، ولذا فإن الباحث هنا سيعتمد على رؤية أحد كبار المؤرخين في هذا الصدد، الذي يقر بإعتدال الإباضية وعدم جواز تصنيفهم ضمن سياق الفكر الخارجي وأن من يخلط بين الإباضية والخوارج عليه أن يعيد النظر في ذلك [46]، ويمكن أن نستكمل هذا أيضاً برؤية يوليوس فلهوزن حيث وصف الإباضية بقوله " ألين عريكة، لم يكن هدفهم مع طهارتهم وشدة تمسكهم بالدين أن ينتصروا على جماعة المسلمين بالقوة، بل أن يكسبوهم لمذهبهم " [47].

في العموم فإن العلاقة تمتعت بالسلمية أحياناً بل وبالودية أيضاً بين الدولة الأموية والإباضية على مدار فترات طويلة وامتد ذلك على سبيل المثال خلال حكم الخليفتين سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز [48]، بل إنه في زمان هشام بن عبد الملك الذي عين خالد القسري والياً على العراق إذ إتسمت فترة ولاية خالد باللين والتسامح مع كافة المعارضين حتى أن بعض شيوخ الإباضية كانوا يشتمونه على منابر المساجد، لكن بعد أن عُزل خالد القسري وتولى بدلاً منه يوسف بن عمر الثقفي اتبع الأخير سياسة مخالفة تماماً لسياسة سلفه حيث استعمل العنف والشدة والقسوة ضد المناوئين للسلطة حتى لو لم يرفعوا السيف فى وجه الحكومة [49]

والسؤال المؤجل والذي يمكن أن نتعامل معه أنه خلاصة للبحث: فى أواخر الدولة الأموية هل أفلحت سياسة الحوار مع الخوارج

حسب جولدتسهير فقد استعان الخوارج بإحدى النظريات السياسية للشيعة وهى نظرية التقية وهي في مضمونها أن تظهر عكس ما تبطن أو أن تخفي حقيقة أفكارك ومشاعرك إتقاءاً لأي أخطار، ووفقاً لهذا الطرح فقد استعان بها الخوارج فى حركتهم ليحققوا بها هذه الغاية نفسها، [50]، وحسب تعبير جولدتسهير فمن اليسير أن نتصور أى مدرسة للمخاتلة والغدر تنطوى عليها تعاليم مبدأ التقية الذى أصبح ركن من أركان المذهب الشيعى، وهو مدرسة للسخط الكامن الذين يكنوه تجاه خصومهم الأقوياء، وهو سخط مبعثه عاطفة من الحقد الجامح والتعصب والثأر [51].

يمكننا أن نؤسس على الطرح السابق ما هو مدخل للإجابة عن السؤال الذي أرجئناه لهذه المرحلة في البحث:

نعم الحوار هو واحد من أفضل الحلول عبر التاريخ، ولكن هل كان الحوار مجدياً مع الجماعات المتطرفة... يمكننا أن نستطلع الإجابة بوضوح من الخوارج الذين كانت لهم وجهة نظر أخرى في مسألة جدوى الحوار وفكر التصالح !!

ليس هناك من شك فى أن ما لحق بالخوارج من فشل فى المشرق يعزى إلى أسباب عدة منها تطرف عقائدهم وقصور فكرهم السياسى الظاهر من الثورات التى قاموا بها طوال العصر الأموى، ثم يقظة الخلافة ورجالها فى مناهضة هذه الثورات ومواجهتها فى سرعة وحزم [52]، ولكن قدرة الخوارج على تقديم خطاب مراوغ تلاقى مع نزوع برجماتي لدى الأمويين اعتقد الأمويين من خلاله أنهم حققوا نصر سياسي ودبلوماسي كبير، فعلى سبيل المثال تخلى الصفرية عن بعض معتقداتهم السابقة المتطرفة كمبدأ تكفير المخالفين فأجازوا معاشرتهم وزواجتهم، والأكثر أهمية أخذهم بمبدأ التقية بإظهار غير ما يبطنون اتقاء للأخطار ودرءاً للمتاعب، وكانوا سلفاً يتشبثون بمبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى لو أدى الأمر إلى الموت [53].

إذن فقد كان مبدأ الكمون الخارجي الأكثر خطورة، ومصداقاً لذلك فلم تلبث الفوضى إلا وأن عمت أرجاء الخلافة، واستولت على العرب حمى الحرب فرفع الشيعة والخوارج رؤسهم من جديد [54]، واتخذت جماعات الخوارج أسلوباً آخر يختلف تماماً عما مضى، لما أن بدأت الدولة الأموية تتداعى، إذ انقلبت تلك الحركة إلى ثورة شاملة. ونظرة إلى أعدادهم في تلك المرحلةيتكشف لنا الفارق: فبعد أن كانت قلة العدد طابع جيوشهم، أصبحوا يقاتلون الآن بجماهير قوية [55]، إذن فقد استفاقت العناصر الخاملة والمتسترة خلف التقية والمراوغة السياسية وتخدير السلطة بأوهام المصالحة ليكشروا عن أنيابهم في مواجهتها وفي القيام بإسقاطها.

بل إن الإباضية ذاتهم وهم الأكثر سلاماً وسلمية والأبعد فكراً عن الخوارج تمحور فكرهم في المسالمة والابتعاد عن الفتن والثورات والدعوة لمذهبهم فى سرية وهدوء... ولكن:- حتى تحين الفرصة لتقويض الحكم الأموي، وإقامة الإمامة الإباضية طبقاً لمبادئهم[56]

ولن يكون تجاوزاً منا للسياق الزمني للدراسة أن نذكر ما قام به أبو مسلم الخراساني مهندس الدعوة العباسية عقب الاستيلاء على مرو وقتل عاملها شيبان الحرورى [57] الخارجي، معبراً بذلك عن عنوان عريض مفاده أن السلطة السياسية الجديدة المتمثلة في العباسيين تعلمت الدرس وأنها لن تقع في فخ مصالحات وهمية ومسكنات غير مجدية مع المرض الفتاك... مرض الخوارج.

Abstract

The state and the policy of dialogue and reconciliation with the Kharijites in the Umayyad era

By Yousef Rashid Rashdan Al-Mutairi

The issue of the Kharijites is considered one of the thorniest issues in Islamic history. The Kharijites, with their practices and rebellions, and with the ideas they carried, constituted a state of existential threat to the Islamic State, not to mention the dangerous subversive ideas they carried, and the most dangerous are their polarizing tools through which they were able to tickle the feelings and ideas of many. Among the elements they attracted either as a result of revolutionary ideas or other polarizing tools represented by mobilizational slogans or employing and exploiting the feelings of those dissatisfied with Umayyad rule or even through political money.

Here, the state, as a political system charged with protecting the state geographically, security-wise, and intellectually, had to play its role, and in general, most of what the pens directed adopted the security and military solutions implemented by the Umayyad state Here lies the issue of this research, and its basic idea revolves around answering the following question: Did the Umayyad state follow means and mechanisms other than military and security solutions?

The research will focus on policies of reconciliation and dialogue

الهوامش

(1) محمود اسماعيل: الحركات السرية في الإسلام، دار رؤية، القاهرة، 2006، ص 24.

(2) يوليوس فلهاوزن: أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام "الخوارج والشيعة"، ترجمه عن الألمانية: عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1958، ص و.

(3) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة" تحقيق خيري سعيد، المكتبة التوفيقية، د. ت، جـ 1، ص 150

(4) الدينوري: الأخبار الطوال "تحقيق عبد المنعم عامر، مراجعة د/ جمال الشيال، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإقليم الجنوني، الإدارة العامة للثقافة، د. ت، ص 206

(5) جولدتسهير: العقيدة والشريعة فى الإسلام، المجلس القومي للترجمة، القاهرة، 2013، ص 191.

(6) جولد تسهير: العقيدة والشريعة فى الإسلام، ص 192.

(7) ابراهيم بيضون: الدولة الأموية والمعارضة، مدخل لكتاب السيطرة العربية لفان فلوتن، ص 39.

(8) فان فلوتن: السيطرة العربية والتشيع والمعتقدات المهدوية في ظل خلافة بني أمية، ترجمة: ابراهيم بيضون، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1985، ص 124.

(9) ابن كثير: البداية والنهاية، دار الفكر، بيروت، 1986، ط الفكر ج10ص 29.

(10) محمود اسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، دار رؤية، القاهرة، 2010، ص 40.

(11) محمود اسماعيل: الحركات السرية، ص 35.

(12) قال لهم عبد الله بن عباس ما الذي نقمتم على أمير المنين قالوا قد كان للمومنين أميراً فلما حكم في دين الله خرج من الإيمان فليتب بعد إقراراه بالكفر نعد له، فقال لهم إبن عباس ما ينبغي لمؤمن لم يشب إيمانه شك أن يقر على نفسه بالكفر قالوا إنه قد حكم قال: إن الله عزوجل قد أمرنا بالتحكيم في قتل صيد فقال عزوجل " يحكم به ذوا عدل منكم " فكيف في إمامة قد أشكلت على المسلمين فقالوا إنه قد حكم عليه فلم يرض، فقال إن الحكومة كالإمامة ومتى فسق الإمام وجبت معصيته. المبرد: الكامل،تحقيق: د/ محمدأحمدالدالي،مؤسسةالرسالة،د.ت، ص 1080.

(13) المبرد: الكامل، ص 1102.

(14) والتوبة عندهم إنما تكون بالأفعال، وبهذا أيضاً طالبوا عليا وسائر القوم: أعني أن يتوبوا بالأفعال وهو أمر ظهر جليا في كل مناسبة عرضت. وإلا فلو لم يكن الحال على هذا النحو ولم تكن نتائج الأعمال المستمرة أبداً هي علامة الخوارج. يوليوس فلهوزن: أحزاب المعارضة السياسية في صدر الإسلام، ص 23، وعندهم فمن ذل ذلة فقد مرق على الإسلام ولا يجدد إيمانه إلا بتوبة علنية وردة قوية إلى الإسلام. وامتحان الإيمان أمر مقرر، لا يقتصر على امتحان المرء إيمان نفسه، بل يتجه خصوصا إلى امتحان إيمان الآخرين. يوليوس فلهوزن: الأحزاب السياسية المعارضة، ص 38، بل وقالوا معترفين لعلي بن أبي طالب " حكمت في دين الله برأينا ونحن مقرون بأنا قد كفرنا ونحن تائبون فأقر بمثل ما أقررنا ". المبرد: الكامل، ص 1099، وحسب نص آخر فإنهم قالوا لعبد الله بن العباس فإن تاب كما تبنا ونهض لمجاهدة عدونا رجعنا ". المبرد: الكامل، ص 1132.

(15) الدينوري: الأخبار الطوال، ص 207 – 209

(16) الدينوري: الأخبار الطوال، ص 206.

(17) ألبرت حوراني: تاريخ الشعوب العربية " ترجمة نبيل صلاح الدين، الهيئة العامة للكتاب، 1997، جـ 1، ص 64.

(18)الهيثمي: تطهير الجنان واللسان عنثلب معاوية بن أبي سفيان مع المدح الجلي واثبات الحقل علي" تحقيق د/ أبو عبدالرحمن المصري الأثري، دار الصحابة للتراث، مصر الطبعة الأولى / 1992، ص 196.

(19) قال لهم علي بن أبي طالب أنتم الحرورية لاجتماعكم بحروراء. المبرد: الكامل، ص 1101.

(20)اليعقوبى: تاريخاليعقوبي،دارصادر،بيروت،د.ت، ج2، ص 191.

(21)البعقوبى: تاريخ اليعقويى، ج2، ص 193.

(22) المبرد: الكامل، ص 1132.

(23) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص 238.

(24)اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، ج2، ص 275.

(25) علاء منصور: حركات التمرد في التاريخ الإسلامي، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011، ص 187.

(26) المبرد: الكامل، ص 1171.

(27)محمود اسماعيل: الخوارج، ص 41.

(28) علاء منصور: حركات التمرد، ص 191.

(29) يوليوس فلهاوزن: أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام، ص 63.

(30) علاء منصور: حركات التمرد، ص 192.

[31] هو مرداس بن عمر بن حدير بن ربيعة بن حنظلة يكنى أبو بلا، وأدبه إنما هى جدة له من قبيلة محارب قد نسب إليها، وقيل أن أدبه كانت طئراً له. انظر: ابن قتيبة: دارالكتبالعلمية،بيروت، 1987 م، ج1، ص 410.

[32]علاء الدين منصور: حركات التمرد، ص 193.

[33]علاء الدين منصور: حركات التمرد، ص 193.

ولم تكن سياسات الخوارج بأفضل ما يمكن مع عبد الله بن الزبير، فقد نقلت بعض الروايات أن الخوارج سألوا ابن الزبير ما قولك فى عثمان قال أتولاه حياً وميتاً، قالوا برىء الله منك ثم انصرفوا. انظر: خليفة بن خياط: تاريخه، جامعة بغداد، د.ت، ص 253، وكان ما كان من مصرع ابن الزبير فوجد الخوارج أنفسهم وجهاً لوجه أمام بنى أمية بمالهم من بأس شديد، فكانوا يقتلوهم بالتهمة أو الظنة، وزاد فى ضعف الخوارج فى العصر الأموى انشقاقهم إلى جماعات متناحرة جاوزت العشرين فرقة كل منها تكفر ما عداها، وهو أمر أدى لتشتيت جهودهم وأتاح لخصومهم ملاحقتهم، ووصلت أحوالهم فى أواخر القرن الأول الهجرى لحالة من الضعف استحال معها أن يواصلوا نشاطهم السياسى بصورته العلنية، فكان عليهم أن يغيروا من أساليب كفاحهم بنبذ طريق الدعوة السافرة فى قلب العالم الإسلامى واتباع أساليب الدعوة المستورة وتنظيم العمل السرى ونقل ميدان نشاطهم إلى الأطراف بعيداً عم متناول قبضة الخلافة. انظر: محمود اسماعيل: الحركات السرية، ص 32 والتى تليها.

[34] المبرد: الكامل، ص 1156.

[35] عماد الدين خليل: ملامح الإنقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز، الدار العلمية للنشر، بيروت، 1971، ص 94.

[36] نايف السهيل: الإباضية في الخليج العربي في القرنين الثالث والرابع الهجريين، مكتبة الإستقامة، مسقط، د.ت، ص 29.

[37] عماد الدين خليل: ملامح الإنقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز، ص 94 والتي تليها.

[38] كرم حلمي فرحات: الخليفة عمر بن عبد العزيز وأثره في تجديد وإصلاح الدعوة إلى الله، بحث منشور في مجلة كلية الآداب جامعة طنطا، عدد تذكاري خاص، يوليو 2013، ص 527.

[39]الطبرى:: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمدأبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ج8، ص 88؛، كرم حلمي فرحات: الخليفة عمر بن عد العزيز وأثره في تجديد وإصلاح الدعوة إلى الله، ص 526.

[40]ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز، تحقيق: أحمد عبيد، عالم الكتب، بيروت، 1404هـ/ 1984م، ط2، ص75.

[41] ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز، صـ 108- 142.

[42] مشاء الله شنشان: المذاهب الدينية في بلاد الشام وأثرها في الجانبين السياسي والفكري خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة، دار تموز، 2023، ص 101.

[43] ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والارشاد القومى، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، د.ت، ج1، ص 251.

[44]اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، ج2، ص 322 ،

[45]عوض الشرقاوى: اباضية جبل نفوسة في القرنيين الثاني والثالث الهجريين، دار العالم العربي، القاهرة، 2017، ص 47.

[46] نايف السهيل: الإباضية في الخليج العربي، ص 260.

[47] يوليوس فلهوزن: أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام، ص 145.

[48] نايف السهيل: الإباضية في الخليج العربي، ص 29.

(49) نايف السهيل: الإباضية في الخليج العربي، ص 33.

(50) جولد تسهير: العقيدة والشريعة، ص 202.

لم تنقطع التنسيقات بين بعض الحركات ذات الطابع الشيعي والخوارج منها ما عُرض من تنسيق بين حركة يحيي بن زيد بن علي وبعض جماعات الخوارج للتنسيق معاً والتعاون في جهاد بني أمية، واسقاط دولتهم، وفي الحقيقة فإن هذا التطور وهذا الحدث من الخطورة بمكان، والنص لدى الأصفهاني الذي يذكر في معرض حديثه عن تنقلات يحيى بن زيد "وأتاه الناس من المحكمة يسألونه أن يخرج معهم في ليقاتلون بني أمية"، بغرض الخروج على الإمام الظالم وإن كانت الفكرة لم يكتب لها النجاح. الأصفهاني: مقاتل الطالبين " تحقيق السيد أحمد صقر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2003، جـ 1، ص 154؛ علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، جـ2، "نشأة التشيع" دار المعارف، الطبعة السابعة، 1977، ص 138، وحسب يوليوس فلهوزن أن قطاعات من الخوارج لم ترتضي مبدأ التقية أما أصحاب الفرق الخارجية الأخرى فكانوا في هذه المسائل أكثر لينا ومرونة على درجات متفاوتة فيما بينهم لا يمكن تحديدها بالدقة. والفارق الرئيسي هو أنهم كانوا يجوزون التستر في بعض الأحيان وعدم خوض القتال باستمرار ضد ينشب القتال ويشتركون فيه كانوا يظهرون من الجرأة وعدم الاحتياط ما لا يقل عما كانت تفعله الأزارقة. يوليوس فلهوزن: أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام، ص 75.

(51) جولد تسهير: العقيدة والشريعة، ص 202، رغم ذلك فكما ذكرت بعض النصوص أن بعض الخوارج وصفوا من يعلم الحق منهم ويكتمه بلفظ " الردي ". المبرد: الكامل، ص 1155.

(52)محمود اسماعيل: الخوارج، ص 34 والتى تليها.

(53) محمود اسماعيل: الحركات السرية، ص 35 والتى تليها.

(54) فان فلوتن السيطرة العربية، ص 163.

(55) يوليوس فلهوزن: أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام، ص 130.

(56) عوض خليفات: نشأةالحركةالإباضية،عمان، 1978، ص74.

(57) ابن تغرى بردى: النجوم، ج 1، ص 310.

المصادر والمراجع

المصادر العربية:

الأصفهاني " أبي الفرج " (ت 356 هـ): مقاتل الطالبين " تحقيق السيد أحمد صقر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2003.

ابنتغرى بردى "أبو المحاسن جمال الدين يوسف" (ت 874هـ): النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والارشاد القومى، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، د.ت.

ابن خياط " خليفة ابن خياط أبو عمر الليثي العصفري " (ت 240 هـ): تاريخه، جامعة بغداد، د.ت.

الدينوري " أبي حنيفة أحمد بن داود " (ت 282 هـ)" الأخبار الطوال " تحقيق عبدالمنعم عامر، مراجعة د / جمال الشيال، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإقليم الجنوني، الإدارة العامة للثقافة، د. ت.

الطبري " أبو جعفر محمد بن جرير" (ت310 هـ): تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

ابن عبد الحكم" أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت 257هـ)" سيرة عمر بن عبد العزيز، تحقيق: أحمد عبيد، عالم الكتب، بيروت، 1404هـ/ 1984م.

ابنقتيبة " أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276 هـ):" الإمامة والسياسة" تحقيق خيري سعيد، المكتبة التوفيقية، د. ت.

" المعارف " دار الكتب العلمية، بيروت، 1987 م.

ابن كثير " إسماعيل بن محمد بن كثير القرشي " (ت 774 هـ): البداية والنهاية، دار الفكر، بيروت، 1986.

المبرد " أبي العباس محمد بن اليزيد " (ت 285 هـ): الكامل، تحقيق: د/ محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، د.ت.

الهيتمي " ابن حجر شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن علي (ت 973 هـ): " تطهير الجنان واللسان عن ثلب معاوية بن أبي سفيان مع المدح الجلي واثبات الحقل علي" تحقيق د/ أبو عبد الرحمن المصري الأثري، دار الصحابة للتراث، مصر الطبعة الأولى / 1992.

اليعقوبي " أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر " (ت 292 هـ): تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، د.ت.

المراجع العربية:

ابراهيم بيضون: الدولة الأموية والمعارضة، مدخل لكتاب السيطرة العربية لفان فلوتن،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1985.

علاء الدين منصور: حركات التمرد في التاريخ الإسلامي، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011.

علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، جـ2، " نشأة التشيع " دار المعارف، الطبعة السابعة، 1977.

عماد الدين خليل: ملامح الإنقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز، الدار العلمية للنشر، بيروت، 1971.

عوض الشرقاوى: اباضية جبل نفوسة في القرنيين الثاني والثالث الهجريين، دار العالم العربي، القاهرة، 2017.

عوضخليفات: نشأةالحركةالإباضية، عمان، 1978.

محمود إسماعيل: الحركات السرية في الإسلام، دار رؤية، القاهرة، 2006.

محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، دار رؤية، القاهرة، 2010.

مشاء الله شنشان: المذاهب الدينية في بلاد الشام وأثرها في الجانبين السياسي والفكري خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة، دار تموز، دمشق، 2023.

نايف عيد جابر السهيل: الإباضية في الخليج العربي في القرنين الثالث والرابع الهجريين، مكتبة الإستقامة، مسقط، د.ت.

المراجع المعربة:

ألبرت حوراني: تاريخ الشعوب العربية " ترجمة نبيل صلاح الدين، الهيئة العامة للكتاب، 1997.

جولدت سهير: العقيدة والشريعة فى الإسلام، المجلس القومي للترجمة، القاهرة، 2013.

فان فلوتن: السيطرة العربية والتشيع والمعتقدات المهدوية في ظل خلافة بني أمية، ترجمة: ابراهيم بيضون، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1985.

يوليوس فلهوزن: أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام " الخوارج والشيعة "، ترجمه عن الألمانية: عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1958.

الدراسات والمقالات:

كرم حلمي فرحات: الخليفة عمر بن عد العزيز وأثره في تجديد وإصلاح الدعوة إلى الله، بحث منشور في مجلة كلية الآداب جامعة طنطا، عدد تذكاري خاص، يوليو 2013.